الخلل في تركيب جسم الانسان

الخلل في وظيفة حفظ النوع

برهنتُ في المقالة التي نشرت في العدد السادس من المجلد ٣٣ من المقتطف ان نظام التركيب في الانسان ليس كاملاً لانهُ بلغ ما هو عليهِ من النمو والارتقاء تبعاً للناموس الطبيعي الذي يقضي بنمو عضو او انحطاطهِ حسبما يطرأ عليهِ من الطوارئ والحوادث التي تقتضي بذلك وبينت ان عضواً رئيسياً يتوقف عليهِ عمل مهم من اعمال الحياة وهو الغشاء المفصلة فيهِ من سوء التركيب وخلل النظام ما يؤيد هذا الرأي ويثبت ان تركيب الانسان ليس كاملاً ونظامهُ ليس بالنظام البديع الخالي من العيب والتشويش. وقد وعدت ان اعود الى البحث في هذا الموضوع وسأبسط في هذه المقالة الخلل في نظام حفظ النوع وخلل الغرائز

يظهر لاول وهلة وقبل امعان النظر في الموضوع ان حفظ النوع في الانسان بالغ حد الكمال وان عاطفة الحب المتمكنة فيهِ تبعدهُ عن الحيوان الاعجم بعداً شاسعاً لان الحيوان الاعجم وان العطف على صغارهِ فانعطافهُ تصير المدة وينسى الوالدان اولادهما سريعاً وان اكثر الحيوانات تقتل صغارها وليس لها جامعة عائلية ولا جامعة قومية . ولكننا نرى بعد البحث ان الانسان وان ارتقى فالاصل الحيواني متمكن فيهِ وانهُ يحفظ في كل جزء من اجزائهِ وفي كل عاطفة من عواطفهِ او غريزة من غرائزهِ اثراً لذلك الاصل كما ذكر في غير هذا المكان وكما يتضح مما يأتي

اذا فحصنا جهاز حفظ النوع في الكائنات الادنى من الانسان رأيناهُ افضل نظاماً واكمل تركيباً مما هو في الانسان واذا اخذنا النبات مثالاً لذلك رأينا ان حياة النوع فيهِ تقوم بمجموع اجهزة ووظائف تامة الترتيب والاتقان وان حفظ النوع فيهِ نظام بديع لا خلل فيهِ ولا تشويش

اما الانسان فاعضاؤهُ المختصة بحفظ النوع منها ما لا وظيفة لهُ لانهُ خسرها بطول الزمن للاستغناء عنها واصبحت اثرية يستدل بوجودها على اصلها السابق وهي كثيرها من الاعضاء الاثرية عرضة للعلل والامراض التي كان الانسان سليماً منها لو لم توجد . ويظهر باقل بحث ان الانسان خنثوي في الاصل لان اعضاء النوعين موجودة كاملة او اثرية في كل من الرجل والمرأة . ولا ينحصر وجود هذه الاعضاء الاثرية في الانسان بل يشمل اكثر

ذوات الفقرات ويستدل من ذلك على انها كانت في الزمن السابق والبعيد جداً خنثوية اي كل فرد منها ذكر وانثى معاً ثم انفصل النوعان وترك كلٌّ منهما للاخر اثراً دالاً على اصله وهذا الاثر قد يكون واضحاً كظهور الثديين في الرجل او قليل الوضوح كبوق المبيض في الرجل . واذا قابلنا بين ما في عليه هذه الاعضاء الاثرية في الانسان وما هي عليه في الحيوانات رأينا انها اكثر ضموراً في الانسان مما هي في الحيوانات ومنها ما اختفى في الانسان وبقي واضحاً في الحيوان مثال ذلك قناة الكلية الجنينية المعروفة بجسم ولف فهي موجودة في الحيوان ونادرة في الرجل البالغ على ان الجهاز التناسلي الباطن يحتوي في الانسان على كل انواع الاعضاء الاثرية التي لا فائدة لهُ منها وكثيراً ما تضرُّ بصحته وحياته لان الاعضاء الضامرة التي لا تقضي وظيفة هي بمثابة جسم غريب في الجسم الحيّ وعلاقتها بحياته تجعلها عرضةً لعيوب خلقية ولعوارض مرضية . فالبروستاتا في الرجل عديمة الفائدة وكثيرة الامراض والاضرار كما يعلم الاطباء والجراحون واذا نمت ولّدت نوعاً من الخنثوية الشاذة ومثلها بعض الاكياس المائية التي تنمو على اثر بقاء الجهاز البولي في الرجل . و لمبيض في المرأة وان كانت لهُ وظيفة معينة فهو يحفظ بقايا جهاز مفقود تتولد منهُ متولدات مرضية كالاكياس الغشائية والاورام السرطانية

اما الاعضاء الكاملة النمو بحسب الظاهر فتقضي وظيفتها في التوليد ولكنها مع ذلك كثيرة الخلل والعيب وهي كثيرها مما سبق ذكرهُ تدل على خلل في تركيب الجسم الانساني

ولنبدأ اولاً بفحص ظاهرة من الظواهر التي رسخ في ذهن العموم انها طبيعية وانها ليست في شيء من خلل التركيب واعني بها الطمث . فقد اجمعوا على انهُ وظيفة مفيدة للمرأة لانها واسطة لمنع احتقانات قد تكون مضرة ببنيتها ومخلة بصحتها لان العضو الذي يتعرض للنزف يحكم عليهِ بدون تردد انهُ عضو مريض فنزف الدم من الانف والرئتين والامعاء ومجرى البول يدل على وجود علة في تلك الاعضاء كثرت اهميتها او قلت ونزف الدم في الطمث علامة مرض رحمي ويدل غالباً على وجود اورام في الرحم ويشذ عن ذلك سيلان الدم حينئذٍ الذي تخسر فيهِ المرأة من ١٠٠ الى ٦٠٠ غرام من دمها وهو السائل الثمين والمهم في الجسم فيجدر بنا اذاً ان نبحث فيهِ بحثاً دقيقاً لنقف على مصدرهِ ونتفهم معنى وجودهِ

نقول اولاً ان الطمث ليس من خصوصيات النوع الانساني لان في الحيوان الاعجم شيئاً شبيهاً بهِ . ويحصل لاناث القرود في حدائق الحيوانات سيلان دوري يشبه عادة السيلان الشهرية

والظاهر ان هذه العادة قد اكتسبت صفة جديدة وانها بلغت الحالة التي هي عليها الآن بسبب تنويع احوال المعيشة التي تتابعت في تاريخ ارتقاء الانسان وابطال الزواج الباكر مما لا محل لبسطه هنا وبهذا الاعتبار يكون الطمث حالة غير اصلية في الانسان ويمكننا ان نعتبرها حالة مرضية لان السيال الدموي الغزير الذي يسبقهُ ويرافقهُ آلام واضطرابات عصبية وعقلية لا يعتبر ظاهرة اصلية من ظواهر الحياة الفيسيولوجية . ولذلك فاكثر شعوب الارض تعتبر الطمث حادثاً غريباً وتحسب الطامث فذرةً وتحذر عليها الدخول الى المعابد . ويعتقد العامة ان الطامث اذا اسقطت فرساً امانتها او اسقطتها كما لا يخفى وفي كتب الاديان ما يشير الى ذلك

ويوجد ايضاً ظاهرة ثانية ليست اصلية في وظيفة حفظ النوع بل اكتسبها الانسان في اطوار نشوئهِ وهي آلام الولادة لان الظاهرة الفيسيولوجية او الوظيفة الطبيعية القانونية لا يرافقها ألم بل الالم من اعراض خلل في تلك الوظيفة . وقد كانت الولادة في الاعصر السابقة خالية من الالم ويقول بعض المولدين ان ولادة اللواتي يتزوجن من سن ١٣ الى ١٨ تكون غالباً سهلة وتسهل كثيراً من ولادة اللواتي يتزوجن متأخرات والسبب في ذلك هو مرونة الغضاريف في الحديثات السن التي بها يسهل توسيع الحوض فيسهل مرور رأس الجنين الا ان هذه السهولة لا يجوز ان تتخذ قاعدة للزواج الباكر لان الوفيات فيهِ عقيب الولادة كثيرة . ومما يجدر ذكرهُ هنا ان النساء البدويات قلما يشعرن بآلام الولادة وقد تلد المرأة منهن وهي راحلة مع قومها فاذا احست بالمخاض تحولت الى منعطف طريق فتلد وتقطع لطفلها الحبل السري وتسير بهِ مع مضاربها ثم تلف الطفل وتحمله وتسود الى قومها بعد بضع دقائق . اما الحضريات فآلام الولادة فيهن شديدة ومخاضهن صعب ومدة نفاسهن طويلة ولعل الشأن في المعيشة الذي فرق بينهن وبين البدويات يفسر لنا اسباب الألم ويدلنا على انهُ حادث في الانسان وليس اصلياً

ان ما تقدم من الكلام يقودنا الى البحث في مسألة من اهم مسائل الخلل في النظام وهي ان البلوغ في الجنسين يحصل في السن الذي لا يمكن فيهِ الزواج سواء كان من حيث ضعف البنية او من حيث الظروف الاقتصادية لان بلوغ البنت يظهر بين سن ١٢ و ١٣ وهي باقية على اخلاقها الصبيانية وعظام الحوض فيها غير قابلة النمو الكافي للحمل والولادة . والصبي تظهر فيهِ عاطفة الحب وهو دون العاشرة ويبلغ في الرابعة عشرة اي في سن لا يستطيع فيهِ الزواج فالخلل اذاً واضح لعدم وجود نسبة بين البلوغ وبين نمو الجسم او بين المراهقة والبلوغ

الصحيح التام. وينتج عن ذلك مضار كثيرة ولا سيما للفتيان لانهم يعتادون رذيلة من اشد الرذائل ضرراً على البنية ومن اكثرها شيوعاً حتى يجوز لنا ان نحكم انها رذيلة كامنة في اعماق الطبيعة البشرية وتظهر باقل تنبيه لها وهي بدون شك نتيجة عدم انتظام الطبيعة البشرية في النمو. وعواقب هذه الرذيلة سيئة جداً على الاولاد وقد تكون سبباً لامراض وعلة ولانحرافات مهمة كالصرع والجنون والسل والبله والهزال وغيرها مما لا يسع المقام شرحهُ ولهذا شددت الاديان بتحريمها واوصت كثيراً بالعفاف وجعلتهُ تكريماً للالوهية واستندت في وصاياها على فساد الطبيعة البشرية

اما البلوغ فيظهر في الذكور في الرابعة عشرة والزواج لا يتم الا في الثلاثين تعديلاً وتبلغ البنات في سن ١٢ او ١٣ ويتزوجن في سن ٢٠ تعديلاً فالمدة بين البلوغ والزواج طويلة وهي شر اضطراري يدعو اليهِ خلل في تركيب الانسان وعلةٍ فوظيفة حفظ النوع في الانسان مشوشة ومختلة النظام

الدكتور امين ابو خاطر

خليل الخوري اللبناني

الصحافي

انشأ المترجم اول جريدة عربية سماها (حديقة الاخبار) سنة ١٨٥٨ وطبعها في مطبعتهِ السورية التي انشأها في تلك السنة ايضاً وصدَّر اول عدد منها بقصيدة شائقة في مدح السلطان عبد المجيد وسماها (بهجة العصر) وختمها بقولهِ

يا جيرةَ الشرق هبُّوا من رقادكمُ ان العلوم لها في قطركم ذممُ
راقت كؤوسُ المنا بالعدل فارتشفوا وذي (حديقة) هذا العصر فاشتمّوا

ولقد ارهف قلمهُ لكتابة المقالات الادبية والسياسية والروايات الفكاهية ولهُ مباحث اخلاقية تدل على كثرة اطلاعهِ ونشر فيها روايتهُ الاخلاقية التي عنوانها (وي اذن لست بانرنجي) ولقد طبعها بمطبعتهِ السورية جامعاً اياها من حديقتهِ سنة ١٨٦٠ في ١٦٢ صفحة وكان كثيرون من اصدقائهِ يعرّبون بعض الروايات والمقالات ويبعثون بها اليهِ لينشرها كالمرحومين سليم دي بسترس واسكندر بك الخوري وغيرهما. ولما تعين بمعية فؤاد باشا المعتمد السلطاني سنة ١٨٦٠ خصص الحديقة بخدمتهِ وجعلها شبه رسميةٍ للحكومة لتنال عليها راتباً خاصاً ومكافآت. ولما نصب المغفور لهُ فرنكو باشا متصرفاً للبنان اتخذ الحديقة جريدة رسميةً